ISSN: 2437-0827
مجلة دراســـات في علم اجتماع المنظمات
DOI:5424/IJO/21547
المجلد: التاسع العدد: الثاني السداسي الثاني 2021

السيرورات التاريخية الكبرى لأشكال الهوية من منظور كلود دوبار

The great historical biographies of identity from the Perspective of Claude Dubar

مريم شريط[1]، كتيبة بغامي[2]

[1] استاذ مؤقت، جامعة حمه لخضر الوادي، الجزائر، nouris_2007@yahoo.fr

[2] أستاذ مؤقت، جامعة الحاج لخضر باتنة 01، الجزائر، katibabeghami@gmail.com

تاريخ الإستقبال: **2022.03.25** تاريخ القبول: **2022/04/19** تاريخ النشر:**2022/04/24**

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى الكشف عن السيرورات التاريخية الكبرى التي ساهمت في بناء أشكال الهوية الإنسانية من منظور كلود دوبار، وحسبه فإن هذه الأشكال لها دور بارز في فهم هويات الأفراد ووضعياتهم في المجتمع الحالي، باعتبارها أدوات لتفسير وتحليل الممارسات المتعلقة بتشكلات الهوية وتمظهراتها. وبالتالي فإن فهم تلك السيرورات يعد من الأسس التي يمكن بها تحديد هوية الإنسان الحديث ومن ثمة فهم وتفسير توجهات الأنا.

كلمات مفتاحية: الهوية؛ السيرورات التاريخية الكبرى؛ توجهات الأنا؛ أشكال الهوية؛ الممارسات.

Abstract:

This research paper aims to uncover the major historical biographies that have contributed to the building of forms of human identity from Claude durbar's perspective, and accordingly these forms play a prominent role in understanding the identities and positions of individuals in current society, as tools for interpreting and analyzing practices related to identity formations and manifestations. Understanding these biographies is therefore one of the foundations on which the identity of modern man can be identified and hence the understanding and interpretation of the directions of the ego.

Keywords: identity; great historical processing; Orientations; Identity forms; Practices.

1. مقدمة

إن تأصيل مفهوم الهوية قد تم في كنف الحضارات الأولى اليونانية، الوسيطة، الإسلامية، وارتبط منذ الوجود الإنساني والتساؤل حول كينونته وعلاقته بالطبيعة والموجودات، لذلك فإن التغيرات والتحولات الزمنية التاريخية في ظواهر الفهم الذاتي كانت مرتبطة بمجموعة من الممارسات الدينية، والعادات والتقاليد والطقوس والأساطير والخرافة التي شكلت المخيلة الجماعية في فترة من فترات الوجود الأول للإنسان إلى غاية القرون الوسطى، ثم العصر الحديث وما بعد الحداثة.

لقد كان الامتثال في البدايات الأولى للمجتمع التقليدي خاضعا للجماعة، حيث كانت السيطرة للنحن على الأنا وكان الفرد يمتثل لقانون الجماعة التقليدية، القبيلة، الدم، القرابة، لذلك كانت الجماعة الصيغة المرجعية للذوات، إذ يعد التضامن وقوة الروابط الاجتماعية من الخصائص التي تميز العلاقة بين الفرد والجماعة، فالأنا تخضع للنحن إذ لا توجد هناك قيمة للفرد خارج الجماعة التي ينتمي إليها.

وكانت الأشكال الجماعية هي المصدر والمرجع الملهم لحياة الأفراد، بمعنى أن القيم والقواعد والمعايير الجماعية هي الشكل الذي ميز المجتمعات التقليدية، ثم انتقلت بعد ذلك إلى الشكل الفردي وسيطرة الأنا الفردانية، حيث ساهمت العولمة والتقدم الإنساني في توسع الانتماءات الإنسانية، وهذه المراحل التي مر بها الإنسان تاريخيا ساهمت بشكل كبير في سيرورات نمو أشكال الهوية وتحولها بين الفردانية والجماعية وبين الأنا و النحن.

2. أهمية الدراسة

تعتبر الهوية هي الغاية الأساسية في حياة الفرد، كما أن فقدانها وصعوبة تحقيقها يؤدي بالفرد إلى حالة اغتراب دائم عن المجتمع، لذلك فإن التعرف على السيرورات التاريخية التي شكلتها تعد منطلقات أساسية تاريخية لا يمكن لأي باحث سوسيولوجي أن ينفيها، حيث يمكن له اعتمادها كمقاربات سوسيولوجية للفهم وتفسير هوية المجتمعات الحديثة وممارسات الفاعلين الاجتماعيين في الحياة اليومية.

ومن هذا المنطلق فإن إشكالية الدراسة تتمحور حول :

1- ما هي أهم الأشكال الهوياتية التي عرفها المجتمع تاريخيا؟

2- كيف ارتبطت هذه الأشكال بالسيرورات، التطورات والتحولات التي مست كل فترة زمنية تاريخية من منظور كلود دوبار؟

3. تتبع تاريخي لأشكال الهوية التي عرفها المجتمع من منظور كلود دوبار:

يشير كلود دوبار في كتابه أزمة الهويات عن ثلاث سيرورات لتطور أشكال الهوية تاريخيا، تتجسد السيرورة الأولى في الحضارة لنروبرت الياس، والثانية في العقلنة لماكس فيبر، أما الأخيرة لماركس وانجلز التي تناقش التحرر بوصفها سيرورة ثورة، و حسب دوبار فإن سيرورة الحضارة لنوربرت إلياس تشير إلى

مفهوم شديد التجريد للهوية " نحن– أنا" إلى فرضية الانتقال من جماعية سيطرة النحن إلى أشكال فردانية سيطرة الأنا المماثلة، و السيرورة التي يدعوها ماكس فيبر سيرورة العقلنة المرتبطة بالعلاقة التاريخية بين شكلين كبيرين للعلاقات الاجتماعية ونمطين واسعين للتدامج الاجتماعي الرابط الجماعاتي الرابط التطوعي، وأخيرا سيرورة ماركس و أنجلز التي تناقش سيرورة التحرر بوصفها سيرورة ثورة (1).

هذا الطرح يوضح التصور الذي يعطيه دوبار للسيرورات الثلاث الكبرى في لحظات مختلفة من التاريخ الإنساني، فسيرورة التحضر الذي ولدت فيه الجماعة التي تنخرط فيها الأنا ضمن الموقع أو المركز الذي تحتله ضمن الفئة أو السلالة التي تنتمي إليها، بمقابل نحن التي تندمج فيها الأنا، والشكل التقليدي الذي عرفه المجتمع من خلال الخرافة والسحر إلى شكل تطويعي.

3. علاقة الأشكال الهوياتية بالسيرورات و التحولات التاريخية

يرى ماكس فيبر " أن أول الأشكال الجماعاتية في التاريخ البشري هو سيطرة الفكر السحري ويعتبر أن الساحر هو الصورة الجماعاتية بامتياز يجسد عمليا المعتقدات غير العقلانية لجماعته " (2) و يعد الساحر الشخصية الكارزيمية التي تستلهم منها السلطة *إذ عرفت المجتمعات التقليدية الكثير من أنواع الخرافة والأسطورة والسحر، إذ يفسرون بها حياتهم والظواهر المحيطة بهم نتيجة الاعتقادات، ويرجعون فيها حدوث بعض الظواهر التي لا يستطيعون تفسيرها ويجهلون بأسبابها إلى الخرافة و السحر والمعتقدات، الأمر الذي جعل الإنسان الأول يقع في كثير من الأغلاط نتيجة الرغبة في تفسير الأشياء، وهذه الآراء والرغبة والاعتقاد جعلته يؤمن بالسحر والخرافة والميتافيزيقا في حدوث الظواهر وتفسيرها، كما اعتبر هيغل" أن الأفكار والمعتقدات، أي البنية الفوقية هي التي تحدد السلوك الإنساني (3).

لذلك فإن سلوكات وأفعال الأفراد قديما تتحكم فيها الآراء والقيم التقليدية والمعتقدات الخرافية والأساطير التي كانوا يتمثلونها وهذا ما اسماه فيبر بالفعل التقليدي الذي يستمد من القيم التقليدية.

كما يرى فيبر أن ظهور العمل في الغرب أدى إلى جعل عمل المرء وسيلة عقلانية لتحقيق خلاصه، وحسبه فإنه أصبح وسيلة صحية ونفسية عبر أوامر رهبانية وهذا التقشف الخاص بالعمل المرافق للكنيسة الكهنوت، أصبح منهجا عقلانيا فيما بعد لإدارة شؤون الحياة ثم طعمت هذه السيرورة حياة

* قسم ماكس فيبر) 1864–1920) أشكال السلطة إلى ثلاث أشكال، السلطة القانونية العقلانية التي تستمد شرعيتها حسب فيبر من القانون والديمقراطية، السلطة الكارزيمية وتستمد شرعيتها من القائد الملهم أو الشخصية الكارزمية الخارقة أو البطولية والشخصيات المثالية ;والكاريزما يقصد بها مجموعة من الصفات أو الخصائص غير اعتيادية سواء كانت هذه الصفات حقيقية أم غير حقيقية يرتبط هذا النمط من السلطة بهذه الكاريزما ذات نوعية معينة. والسلطة التقليدية التي تستمد قوتها وشرعيتها من قداسة التقاليد والأعراف وقد تقوم على العائلة الأقارب وهي مرتبطة بالمكانة الاجتماعية.

الاقتصاد السلعي وانتقلت إلى الحياة المدنية عن طريق صورة المقاول الطهراني التي انبثقت كشكل لهوية جديدة (4) .

وبفعل هذه التحولات التي عرفها المجتمع البرجوازي والكنيسة آنذاك، أدى إلى ميلاد منظومة أخلاقية بورجوازية " أصبحت المعيار الحاسم لفعالية العمل هو الحافز النفسي ويصبح أفضل مهنة ووسيلة، وولد السلوك العقلاني المؤسس على فكرة التقشف المسيحي (5). إن هذه الخصائص المتجلية في القضاء على البذخ والاستثمار في المدخرات والفعل العقلاني الذي تنص عليه الأخلاق المقترنة بالدين وروح الرأسمالية و الإيمان بالعمل شكلت العناصر الأساسية لهوية المقاول الرأسمالي.

أما السيرورة التاريخية لماركس ركزت على دور العمل إذ اعتبره ماركس هو العلاقة الأولية بين الطبيعة و الإنسان، حيث ركزت جل تحليلاته التاريخية على التحول الراديكالي للمجتمع من خلال علاقات الإنتاج المحكومة بالعلاقة الاقتصادية بين أرباب العمل و العمال أو ما سماه ماركس بالبلوريتاريا* إذ يعتقد ماركس ويؤمن بفكرة الثورة والتغيير من خلال مبدأ الحتمية وفي هذا الصدد يقول " ستكون في سياق هذا التطور الجاري آليا للعلاقات الاقتصادية، مجموعة متنامية من الذين لا يملكون شيئا حتى تصبح الغلبة لهذه المجموعة البائسة الفقيرة، بعد سلسلة من الانفجارات المجتمعية المتوقعة والحتمية (6),

و شكل الهوية يتجسد لدى ماركس في هوية العمال الشيوعية التي تقضي على كل أنواع الاستلاب وتفضي إلى التشارك الحر للأفراد و تعاونهم الإرادي، وبالتالي يسمح لهم ذلك بتحقيق شخصهم فالتطور الكامل لقوى الإنتاج وتناقضه الحاد مع علاقات السيطرة الطبقية، والقضاء على الدولة البرجوازية لاستعادة الجماعة الحقيقية للبشر الأحرار التي تشكلها الشيوعية ولا يمكن أن تتحقق إلا بالثورة (7).

كما يرى ماركس " أن فكرة الذات الفاعلة بين الأرباح والحاجات المتواجهة، فإن كل ما يأخذ صورة المجتمع أو النموذج الإنساني ذاتية فردية أو جماعية، هو حصيلة البرجوازية إن الوعي وعي خاطىء وبالنسبة لماركس فالحياة الاجتماعية سوى صراع بين قيمة الاستعمال وقيمة التبادل، قوى الإنتاج ضد علاقات الإنتاج الاجتماعية (8). فالصراع لدى ماركس ينتج عن الصراع بين القوى الطبقية في المجتمع وإعادة إنتاجها، حيث شكلت تلك الأوضاع نقطة انطلاق وتحول في تاريخ المجتمع الصناعي بصفة عامة والحركات العمالية والطبقات الكادحة بصفة خاصة، و ساهمت هذه التحولات السياسية والاجتماعية

*البلوريتاريا ويعني بها كارل ماركس) 1818-1883) الطبقة الكادحة التي لا تملك وسائل الإنتاج إذ اعتبر ماركس أن هذه الطبقة لها القدرة على تحقيق الثورة والتغيير الرادكالي، حيث نادى ماركس يا عمال العالم اتحدوا وكانت هذه أهم الخطابات الشيوعية المناهضة للفكر الرأسمالي وركز ماركس على تحليل للعلاقات الإنتاجية بين العمال وبين أصحاب العمل من خلال ملكية وسائل الإنتاج، كما حلل ماركس ظاهرة الاغتراب من خلال التنظيمات البيروقراطية التي يعتبرها ماركس أجهزة يمكن من خلالها تحطيم الكفاءات والمهارات، وهذا ما أطلق عليه المادية الحقيرة كما استعمل ماركس البيروقراطية بدلالته السلبية إذ يرى أنها أداة للهيمنة الطبقية تستخدمها الدولة كجهاز طبقي لصالح طبقات معينة.

والاقتصادية للمجتمع الصناعي في تلك الحقبة، إلى تغيرات جذرية أسست فيما بعد للمدخل و الفكر الماركسي* الكلاسيكي الراديكالي في علم الاجتماع الذي ركز في تحليله على اغتراب الطبقة العمالية عن أدوات الإنتاج.

كما يؤمن أنجلز أيضا بالتحولات والتغيرات التي تعرض لها المجتمع في تاريخه حيث تناول الطبيعة البشرية و تاريخها أو نشاطها الذهني، فحسب انجلز فإن الصورة الأولى التي تخطر لنا تتكون من علاقات وتفاعلات متشابكة إلى أقصى حد، لا يبقى منها أي شيء كما هو أو في الوضع الذي عليه، بل كل شيء يتحرك، يولد، ويتحول، ويفنى (9) ، يشير هذا التصور الذي أعطاه كل من ماركس و انجلز إلى التصور الأول في الفلسفة اليونانية لهراقلطيس، الذي يرى أنه لا يوجد شيء يسبح في النهر مرتين، وهو أيضا يؤمن بفكرة التغيير التي تتعرض لها الهوية عبر الزمن.

أما نوربرت الياس أشار إلى أشكال الهوية التي ظهرت في المجتمعات البشرية، كالقبيلة والرحل و الإثنيات تسيطر فيها هوية النحن بصورة كاملة على هوية "الأنا " وحسب الياس فإن هذا النوع من نجد فيه إلا هويات أنا جامدة بالكامل في هوية النحن (10)، وفي هذا السياق أيضا يرى دوركايم أن الوعي البدائي هو بالكامل خارج الذات فصفة التماهي في هذه المجتمعات تكون خارج الذات، ولكنها تتماهى مع الجماعة ومع أدوراهم الجماعية وهم خاضعون للجماعة ومعاييرها، في مماثلاتهم الشخصية وتعريفهم لذواتهم هو كامل للغير يحددها النسب، العشيرة، القرابة، الدم، أو ما سماه دوركايم الطوطم.*

يشير دوبار أيضا عن شكل آخر من أشكال الهوية التي سماها الشكل الثقافي الاثنوغرافي، وحسبه فإن هذا الشكل يشار فيه إلى الأفراد في موقعهم في سلالة الأجيال و بموضعهم الجنساني في بنى القرابة

*تنطلق نظرية كارل ماركس من فكرته المادية التاريخية التي اعتبرها كأداة تحليل لدراسة العلاقة بين الأوضاع الاجتماعية المادية وأنواع الفكر، حيث يرى ماركس أن هذه الجدلية– المنطق الجدلي الهيغلي– سينجم عنها صراعات على مستوى التنظيمات الاجتماعية بين العمال وأرباب العمل، كما أن النمو الاقتصادي سيؤدي إلى زيادة في تقسيم العمل، وهذا بدوره سيؤدي إلى زيادة الإنتاج وظهور السلطة في يد الرأسماليين– أرباب العمل تملكهم لوسائل الإنتاج مما يزيد من خضوع العمال واغترابهم، وبالتالي التفاوت الطبقي بين الرأسماليين مالكي وسائل الإنتاج والطبقة العمالية، هذه الصراعات والتناقضات حسب ماركس ستؤدي إلى تغييرات جذرية في وعي الأفراد وبالتالي الثورة، حيث أن ماركس ركز على فهم دينامية صراع الطبقات بين البورجوازية (الذين يملكون الرأسمال، البرجوازية الصغيرة التجار، الحرفيين ..) والطبقة البلوريتاريا (التي تبيع قوة العمل) حسب ماركس فإن الصراع الطبقي يؤدي إلى التغيير حين يتحول إلى ثورة، حيث كان ماركس من الأوائل في علم الاجتماع الذين تحدثوا عن مفهوم إعادة الإنتاج، ليستمده عنه السوسيولوجي الفرنسي بيار بورديو في مؤلفه الشهير إعادة الإنتاج، حيث اخذ بورديو المفهوم عن ماركس، أهم الانتقادات التي وجهت للفكر الماركسي هو تركيزه على الجانب الاقتصادي وإغفاله للبعد الاجتماعي .

* الطوطم والذي له شأن كبير في التنظيم والتماسك الاجتماعي، والطوطم هو جسم ورمز للأب أو الجد الذي ينحدر منه أفراد القبيلة فينظرون إليه باحترام وخشوع، وهذا الطوطم لا يعد مهما في حد ذاته ولكنه يعد رمزا وروحا للقبيلة ويعبر عن شخصيتها وهويتها. انظر (عبد الغني،2017، ص83).

ويعطي مثالا عن الدراسة التي قامت بها فرانسوا ارتيري لجماعة السامو* في دراستها و وجدت أن الأنا تتزامن مع النحن بطريقة جماعاتية محضة إذ تخصص الأدوار الاجتماعية على أساس الاسم وحده الذي يعبر عن الموقع النسبي والتسلسلي زمنيا، وليس للفرد من هوية إلا تلك التي تمليها الرغبة الجماعاتية للمجموعة التي تخصص له موقعه، إذ يكون الخضوع للقانون الاجتماعي كاملا و في الواقع لا توجد حقا هوية للأنا خارج هذا الموقع الموروث (11).

وبالتالي فإن الدراسة التي قامت بها فرنسوا ارتريه توضح الشكل السائد للهوية في هذه الجماعة، فالسيطرة الذكورية على العالم الأنثوي الخاضع يوحي بشكل السلطة الذي لا يمكن فصله عن شكل الهوية وكذا العلاقات الاجتماعية وارتباطها بالغيرية، حيث أن التمثل والتعريف في مثل هذه الجماعات يخضع للموروث وصلة الدم والقرابة والأساطير والشعائر، التي يظهرها رمز الصنو كرمز ثقافي و كمرجع في إعطاء المكانة والدور الذي يمنحه الاسم الموروث عن الأب في قبيلة السامو، حيث يعتبر الأب كرمز روحي للجماعة وهذا النوع من النظام الاجتماعي هو بنية سيكولوجية اجتماعية وثقافية ناتجة عن سيرورة تكونت عبر المعايير والسلوك والقيم التقليدية وتعبر عن واقع اجتماعي، بالإضافة للتماهي لقانون الجماعة فالأنا في هذه الحالة أو الهوية تتمثل داخل الجماعة أو النحن.

نقطة الانطلاق في هذا الطرح هو الشكل السائد للهوية في السيرورات التاريخية، والذي ارتبط بالدم والقرابة والتعريف للذات عن طريق الجماعة وسيطرة الشكل نحن– أنا وهذا ما سماه نوربرت الياس سيرورة الحضارة والتي يرى بأنها تدريب تدريجي على التحكم الذاتي ويفسر ذلك في ظل هوية البلاط التي انتظمت نتيجة رغبة المرء الشخصية في الصعود ضمن التراتبية (النبلاء، البرجوازيين، الحرفيين، الفلاحين) التي تتقن قواعد السلوك التي تتضمن تحكما دائما بالذات.

وفي الأخير يخلص نوربرت الياس أنه لا يمكن فهم ما جرى في القرن السابع عشر والثامن عشر في الغرب، حيث أن الهوية عرفت تحولات في النحن– الجماعة– وعزز ذلك حسبه ظهور الدولة الاستبدادية وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية، إذ ظهر هناك تصور جديد للعلاقة– بين نحن–أنا وهذا بنقل القوة إلى جميع الفئات الاجتماعية الارستقراطية البرجوازية الفلاحين، وهذا أدى في رأيه إلى خلق

* السامو وهي جماعة قامت فرنسواز ارتريه بدراستها وقدمتها في ندوة لفي شتروس في فرنسا المكرسة للهوية، إذ قامت الباحثة بدراسة هذه الجماعة للتعرف على هويتها فوجدت أنها تتكون من عالمين رمزيين الأول ويتجسد في العالم الذكوري ويكون مطوع اجتماعيا وتكون السلالة فيه عصبية، والعالم الثاني المتجسد في العالم الأنثوي وهو مسيطر عليه، وتتحدث الباحثة عن أهم المكونات المميزة للسامو وهي تسعة : الجسد والدم، الظل و المحمول، الحرارة، العرق، النفس، الحياة، الفكر، الصنو، المصير، وتمثل الأم الرمز الذي يمنح الجسد أما الأب فهو يمنح الدم، أم الصنو فهو خالد ويضعه الإله في حجر الأم وهو الذي يمنح للفرد مكانة وموقعا ودورا في التنظيم الاجتماعي و هذه تعبر عن الذكورة في الأساطير والشعائر لدى السامو. (دوبار،2008، ص 46/45)

أساليب جديدة في العمل والتفكير والشعور وإلى تعريف جديد للنحن وفي الوقت نفسه إلى تصور جديد للأنا (12).

وبعد الحرب العالمية الثانية رافق ذلك التعريف الجديد للنحن المعولمة البشرية بوصفها انتماء مشتركا مع تعزيز المطالب القومية وأصبحت هوية البشر الحالية هي لغتهم، ثقافتهم، أمتهم، إثنيتهم وبالتالي فإن الشكل الذي يظهر للهوية هو النحن المتضمن في الدولة والأمة والثقافة والإثنية والدين والإقليم. (13). ومن هنا فإن نوربرت الياس يركز على السيرورة التاريخية لهوية نحن أنا كيف تحولت تاريخيا لأولوية هوية الأنا على النحن بفعل التحولات والتغيرات التاريخية للمجتمع.

كما يشير عماد عبد الغني إلا أن نوربرت الياس يتبنى مقاربة سوسيولوجية تجمع بين الفهم والتفسير، التصور الكلي إميل دوركايم والفردي فيبر بين الفعل والبنية المجتمعية عبر الانبناء والهابتوس*، أو بمعنى آخر فإن الواقع الاجتماعي يبنى من قبل الأفراد والفاعلين الاجتماعيين في ضوء خبرات ماضية مستضمرة، أو خبرات حاضرة تستمد من الحياة اليومية أو تشتغل هذه الخبرات وتشكل هابتوس مجتمعي، يتبلور في شكل عادات ومعايير يرثها الأفراد انطلاقا من المجتمع، الأسرة، الشارع، القبيلة، الأمة تنتقل عبره القيم من جيل لآخر فيتمثلونها على أساس أنها معايير و مقاييس للتكيف و التطبع في المجتمع (14).

وهذه الأشكال للسيرورات الكبرى عبر التاريخ للهوية ساهمت فيما بعد في تحول السيطرة الجماعاتية أولوية النحن إلى أولوية الأنا التطويعية المجتمعية، أما الجماعاتية فتعني أنه لكل فرد موقع أو أنه عضو في جماعة ويحتل فيها موقعا وتخضع هذه الأشكال خضوعا وثيقا للإيمان بطابع الانتماء، سواء تعلق الأمر بالثقافات أو الأمم أو الإثنيات وتكون مماثلة الأفراد للجماعات –الأشكال التي تحدث عنها إميل دوركايم– عبر انتمائهم ويرى دوبار أن المماثلة هنا تكون للذات بمقدار ما تكون للغير" أما التطويعية فهي تفترض وجود هيئات متعددة ينتمي إليها الأفراد لفترات محدودة، بمعنى أن الشخص يمتلك فيها انتماءات متعددة– المجتمع المعولم– و هذا الشكل" تكون فيه أولوية المماثلة للذات على الغير وحسب دوبار هذا النوع ينتج هويات للذات وهويات للغير(15).

*استخدم مصطلح الهابتوس لأول مرة من قبل نوربرت الياس(1897–1990 سوسيولوجي ألماني له أعمال في تخصصات متعددة نشر أعماله التأسيسية حول الحضارة والأخلاق وله تأثير عميق في العلوم الاجتماعية المعاصرة وساهم في تفجير الحدود بين علم الاجتماع التاريخ علم النفس) لأول مرة في الثلاثينات من القرن العشرين واستخدمه قبل بيار بورديو(1930–2002) في كتاباته السوسيولوجية، وهو يعني به المعرفة المجتمعية المستضمرة أو المخزنة لدى الأفراد بشكل غير واع و تتجذر مع مرور الوقت بفعل المؤسسة أو الحزب أو الدولة، وتصبح بالتالي تدل على هوية الفرد كما تدل على هوية الجماعة وهذا يحيل إلى التنشئة الاجتماعية أو التطبع أو الاندماج الاجتماعي سواء كان فرديا أم جماعيا وهو ما يسمح بنقل المعايير والعادات للأفراد بفعل التطبع والتماثل، ويتميز بالديمومة والتحول والتطور التاريخي: انظر(عبد الغني، 2017، ص51/50).

أما الشكل الأخير وهو لبول ريكور الذي سماه الشكل السردي للهوية، وهو يتضمن أولوية الفعل في العالم وليس التأمل الداخلي حول الذات إذ يعرف المرء نفسه بما يفعله وينجزه وليس بمثله الأعلى الداخلي. (16). بمعنى أن هذا الشكل يركز على جملة الأفعال التي يقوم بها الفرد ليعرف بها نفسه ويتجسد ذلك من خلال السلوكات التي يظهرها نحو العالم الخارجي، وليس بالتركيز على الذات والتأمل الداخلي لها.

و يرى ريكور أن" هوية الفرد تتجلى بما يقوم به الفرد حول عمل يتجسد في مشاريعه المهنية، وسواها من المشاريع ويتجسد الشكل الجديد في الوحدة السردية للحياة. وفي هذه الحالة تصبح المماثلة الخاصة بالفرد أو الشخص هي التي تتوجه إلى الخارج، في جملة الأفعال التي يمارسها مع الآخرين بمعنى الانجازات العملية والخبرات الحياتية المكتسبة، وحسب ريكور فإن هذا الشكل لا ينفصم عن هدف أخلاقي وتحقيق أعلى للذات.

في الأخير يخلص دوبار إلا أن الأشكال الأربعة – هوية البلاط، هوية المقاول العقلاني، هوية العامل الشيوعي الثوري، هوية السردية لم يفرض أي منها نفسه كشكل كمرتكز لتصور تاريخي جديد لكن تبقى هذه الأشكال هي أساليب مماثلة للأفراد يمكن أن تسمح لهم بتمييز تمظهرات تاريخية، لكنها تتعايش في الحياة الاجتماعية وتبقى الأشكال الأربعة هي أنماط يديرها كل امرئ وينسقها في الحياة اليومية يرتبط استخدامها بسياق التفاعلات وكذلك بالمصادر الهوياتية للأشخاص المعنيين (17).

5. خاتمة

تعد هذه الأشكال الهوياتية التي تشكلت تاريخيا قد ساهمت بشكل كبير في تفسير هويات المجتمعات الحديثة و خاصة في ظل ظهور العولمة وتشابك الانتماءات وتعددها، وبالتالي فإن أي شكل من هذه الأشكال قد يظهر تارة ويضمحل تارة أخرى، وذلك بفعل العوامل السياسية و الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وتبقى هذه الأشكال قائمة مع الممارسات اليومية للفاعلين الاجتماعيين كما يرى دوبار وأيضا متعلقة بالخصوصية السوسيوثقافية وبالسياقات السوسيوتاريخية والثقافية المختلفة للمجتمع.

حيث أن مسالة الهوية ليست معطاة فقط ولكنها بناء يتشكل من مجموع التصورات و التمثلات التي يؤسسها الأفراد باعتبارهم يساهمون في صناعة أنفسهم من خلال استراتجيات ومصادر مختلفة، لذلك فإن أشكال الهوية تاريخيا لها دور بارز في فهم هويات الأفراد ووضعياتهم في المجتمع الحالي، باعتبارها أدوات لتفسير وتحليل الممارسات المتعلقة بتشكلات الهوية وتمظهراتها، كما تعد منطلقات أساسية تاريخية لأشكال الهوية التي لا يمكن لأي باحث سوسيولوجي أن ينفيها، حيث يمكن له اعتمادها كمقاربات سوسيولوجية للفهم وتفسير هوية المجتمعات الحديثة و ممارسات الفاعلين الاجتماعيين في الحياة اليومية.

6. قائمة المراجع

1. كلود دوبار، أزمة الهويات تفسير أم تحول، المكتبة الشرقية، بيروت، ترجمة رندة بعث، 2008، صفحة 40.
2. المرجع السابق، صفحة 62.
3. عماد عبد الغني، سوسيولوجيا الهوية جدليات الوعي والتفكك وإعادة البناء، 2017، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، صفحة 81.
4. كلود دوبار مرجع سابق، صفحة 70.
5. المرجع السابق، صفحة 72.
6. إلياس نوربرت، مجتمع الأفراد، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ترجمة هاني صالح، 2014، صفحة 101.
7. كلود دوبار، مرجع سابق، صفحة 84.
8. آلان توران، نقد الحداثة، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ترجمة عبد السلام طويل، 2010، صفحة 113.
9. أحمد القصير، منهجية علم الاجتماع بين الماركسية والوظيفية والبنيوية، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، ب س، صفحة 24.
10. كلود دوبار، مرجع سابق، صفحة 42.
11. المرجع السابق، صفحة 42-46.
12. المرجع نفسه، صفحة 43-56.
13. نفس المرجع، صفحة 57.
14. عماد عبد الغني، مرجع سابق، صفحة 50.
15. كلود دوبار، مرجع سابق، صفحة 19-21.
16. المرجع السابق، صفحة 73.
17. نفس المرجع، صفحة 103.